

تفسير البحر المحيط

@ 419 قال مكي يوقف على { والارض } في تلك الأقوال الثلاثة . واختلفوا في هذا التشبيه أهو تشبيه جملة بجملة لا يقصد فيها إلى تشبيه جزء بجزء ومقابلة شيء بشيء ، أو مما قصد به ذلك أي مثل نور الله الذي هو هداه وبقائه صنعة كل مخلوق وبراهينه الساطعة على الجملة كهذه الجملة من النور الذي تتخذونه أنتم على هذه الصفة التي هي أبلغ صفات النور الذي بين أيدي الناس ، أي مثل نور الله في الوضوح كهذا الذي هو انتهاكم أيها البشر . وقيل : هو من التشبيه المفصل المقابل جزءاً بجزء ، وقرروه على تلك الأقوال الثلاثة أي { مَثَلُ نُورِهِ } في محمد أو في المؤمن أو في القرآن والإيمان { كَمِشْكَاةٍ } فالمشكاة هو الرسول أو صدره { * والمصباح } هو النبوة وما يتصل بها من علمه وهداه و { زُجْجَاةٍ الزُّجْجَاةُ } قلبه . والشجرة المباركة الوحي والملائكة رسل الله إليه ، وشبه الفصل به بالزيت وهو الحجج والبراهين والآيات التي تضمنها الوحي وعلى قول المؤمن فالمشكاة صدره و { المصباح } الإيمان والعلم . و { الزُّجْجَاةُ } قلبه والشجرة القرآن وزيتها هو الحجج والحكمة التي تضمنها . قال أبي : فهو على أحسن الحال يمشي في الناس كالرجل الحي يمشي في قبور الأموات ، وعلى قول الإيمان والقرآن أي مثل الإيمان والقرآن في صدر المؤمن في قلبه { كَمِشْكَاةٍ } وهذا القول ليس في مقابلة التشبيه كأوليين ، لأن المشكاة ليست تقابل الإيمان . .

وقال الزمخشري : أي صفة { نُورِهِ } لعجبة الشأن في الإضاءة { كَمِشْكَاةٍ } أي كصفة مشكاة انتهى . ويظهر لي أن قوله { كَمِشْكَاةٍ } هو على حذف مضاف أي { مَثَلُ نُورِهِ } { مثل نور مشكاة وتقدّم في المفردات أن المشكاة هي الكوة غير النافذة ، وهو قول ابن جبير وسعيد بن عياض والجمهور . وقال أبو موسى : المشكاة الحديد والرصاصة التي تكون فيها الفتيل في جوف الزجاج . وقال مجاهد : المشكاة العمود الذي يكون المصباح على رأسه ، وقال أيضاً الحداث التي تعلق فيها القناديل . .

{ فَبِهَـا مَصْبِيحٌ } أي سراج ضخم ، والظاهر أن { الزُّجْجَاةُ } ظرف للمصباح لقوله { المصباح في زُجْجَاةٍ } وقدره الزمخشري في زجاج شامي ، وكان عنده أقصى الزجاج هو الشامي ولم يقيد في الآية . وقرأ أبو رجاء ونصر بن عاصم { في زُجْجَاةٍ الزُّجْجَاةُ } بكسر الزاي فيهما ، وابن أبي عبيدة ونصر بن عاصم في رواية ابن مجاهد بفتحها . { كَأَن نَّهَّـا } أي كأن الزجاجه لصفاء جواهرها وذاتها وهو أبلغ في الإنارة ، ولما احتوت عليه من نور المصباح . .

{ كَوَّكَبٌ دُرِّيٌّ } قال الضحاك : هو الزهرة شبه الزجاجة في زهرتها بأحد الدراري من الكواكب المشاهير ، وهي المشتري ، والزهرة ، والمريخ ، وسهيل ونحو ذلك . وقرأ الجمهور من السبعة نافع وابن عامر وحفص وابن كثير { دُرِّيٌّ } بضم الدال وتشديد الراء والياء ، والظاهر نسبة الكوكب إلى الدر لبياضه وصفائه ، ويحتمل أن يكون أصله الهمز فأبدل وأدغم . وقرأ قتادة وزيد بن عليّ والضحاك كذلك إلاّ أنّهما فتحا الدال . وروى ذلك عن نصر بن عاصم وأبي رجاء وابن المسيب . وقرأ الزهري كذلك إلاّ أنّه كسر الدال . وقرأ حمزة كذلك إلاّ أنّه همز من الدرء بمعنى الدفع ، أي يدفع بعضها بعضاً ، أو يدفع ضوءها خفاءها ووزنها فعيل . قيل : ولا يوجد فعيل إلاّ قولهم مريق للعصفر ودريء في هذه القراءة . قيل : وسرية إذا قيل إنها مشتقة من السرور ، وأبدل من أحد المضعفات الياء فأدغمت فيها ياء فعيل ، وسمع أيضاً مريخ للذي في داخل القرن اليابس بضم الميم وكسرها . وقيل : منه عليه . وقيل : { دُرِّيٌّ } ووزنه في الأصل فعول كسبوح فاستثقل الضم فرد إلى الكسر ، وكذا قيل في سرته ودرفته . وقرأ أبو عمرو والكسائي كذلك إلاّ أنّه كسر الدال وهو بناء كثير في الأسماء نحو سكين وفي الأوصاف سكير . وقرأ قتادة أيضاً وأبان بن عثمان وابن المسيب وأبو رجاء وعمرو بن فائد والأعمش ونصر بن عاصم كذلك إلاّ أنّه بفتح الدال . قال ابن جني : وهذا عزيز لم يحفظ منه إلاّ السكينة بفتح السين وشدّ الكاف انتهى . وفي الأبنية حكى الأخفش كوكب دريء من درأته ودرية وعليك بالسكينة والوقار عن أبي زيد . وحكى الفراء بكسر السين . . .

وقرأ الأخوان وأبو بكر والحسن وزيد بن عليّ وقتادة وابن وثاب وطلحة وعيسى والأعمش { * تُوِّقِدَ } بضم التاء أي { زُجَّاجَةٌ الزُّجَّاجَةُ } مضارع أوقدت مبيناً للمفعول ، ونافع وابن عامر وحفص كذلك إلاّ أنّه بالياء أي { المَصْبِيحُ } وابن كثير